



أقوال المعلم

برمهنسا يوغانندا

نصائح وإرشادات للمريدين السائرين على الطريق الروحي
ترجمة: محمود عباس مسعود

وُلد المعلم برمهنسا يوغانندا في غوراكبور – الهند في 5 يناير/كانون ثاني 1893
ومنذ سنه المبكرة كان شديد التعطش للروحيات، وقد أوصله حماسه الروحي المتأجج إلى
معلمه سوامي سري يوكتسوار الذي لقنه العلم الروحي القديم (كريا يوغا). فبمعونة مفتاح
الكريا وهداية وتوجيه الحكيم العظيم سري يوكتسوار حقق برمهنسا يوغانندا غاية الحياة
القصوى: التوحد مع الله.

في سنة 1920 وفد السيد الجليل يوغانندا إلى أمريكا نزولاً عند رغبة معلمه وتلبية لدعوة
تلقاها ليقوم بتمثيل الهند في المؤتمر العالمي للمتدينين الأحرار المنعقد آنذاك في مدينة بوسطن
بالولايات المتحدة (وعمره 27 سنة!) وإثر إلقاء خطبته الأولى عن "علم الدين" حاضر الآلاف
وكرّس شخصياً مائة ألف تلميذ في علم الكريا يوغا المقدس من كافة أنحاء العالم.
لم يقد برمهنسا يوغانندا بالتعليم وحسب، بل برهن بمثال حياته كيف أن الإنسان باستطاعته
إبراز قواه الروحية الكامنة بواسطة تأمل اليوغا والاستقامة في العمل والمعاملة، وبواسطة
الحكمة ومحبة الله.

الأقوال التالية مقتبسة من كتاب: (مأثورات خالدة أو قال المعلم)
وهي تنطق بصوت الحق لمعرفة برمهنسا يوغانندا بالله.



❁ سأل أحد التلاميذ: "سيدي، ما الذي يجب أن أفعله كي أعرف على الله؟"
فأجاب المعلم:

"في كل لحظة من لحظات فراغك غُص في بحر التفكير العميق به. تحدث إليه حديث القلب
للقلب، حديث الروح للروح. إنه أقرب من القرب وأعز من الحبيب. اعشقه مثلما يتعشق
البخيل المال، واحببه محبة المتيمّ الولهان لحبيبة قلبه، محبة الغريق لنسمة الهواء. فعندما
تبثه حنينك العارم وشوقك الغامر سيأتي إليك".

❁ شكّا أحد التلاميذ للمعلم من عدم تمكنه من العثور على عمل، فقال له المعلم:
"لا تتمسك بتلك الفكرة الهدامة. إذ كجزء من هذا الكون لك فيه مكان ضروري لازم. هزّ العالم
إذا اقتضى الأمر كي تعثر على عملك. لا تكف عن المحاولة وسيكتب لك النجاح".

❀ قال أحدهم: "ليتني أمتلك الإيمان يا سيدي!"

فأجاب السيد برمهنا:

"الإيمان يجب تنميته أو بالأحرى الكشف عنه في أعماقنا. إنه موجود ولكن ينبغي إظهاره. لو راقت مجرى حياتك لوجدت طرقاً لا حصر لها يعمل الله بها من خلالك، وهكذا سيترسخ إيمانك ويتعزز يقينك. قلائل هم الذين يتطلعون إلى يد الله الخفية. معظم الناس يحتسبون أن تطور الأحداث والظروف الطارئة حالات طبيعية لا محيد عنها ولا هروب منها. ولكن ما أقل الذين يدركون التغيرات الجذرية والجوهريّة التي يمكن إحداثها بفضل الدعاء وبفعل الإبتهاال لله!"

❀ كان أحد المريدين يستاء من أقل تلميح إلى عيوبه، وذات يوم قال له المعلم:

"لماذا تعترض على تقويم اعوجاجك؟ ألسنتُ أنا هنا من أجل هذا الغرض بالذات؟ كثيراً ما كان معلمي يعنفني أمام الآخرين لكنني لم أبد تدمراً أو امتعاضاً لأنني تيقنت من أن سري يوكتسوار كان يهدف إلى تنويري وتخليصي من جهلي. والآن لست سريع التأثر للإنتقاد. لم تبق بي قروح وجروح تؤلمها لمسات الغير. لهذا أخبرك علانية عن عيوبك. فإن لم تداو نقاط المرض في عقلك ونفسك فستكمش ألماً وترتعش كلما فرکها الآخرون."

❀ قال المعلم لمجموعة من المريدين:

"لقد رتب الله لنا هذه الزيارة إلى الأرض، ولكن معظمنا نصبح ضيوفاً غير مرغوب بهم، محتسبين بعض الأشياء هنا بأنها ملكنا الحقيقي. وإذ ننسى أن إقامتنا الأرضية هي إقامة مؤقتة فإننا نخلق ارتباطات وعلاقات عديدة، مثل: "بيتي"، "عملي"، "مالي"، "أسرتي"، إلى ما هنالك. ولكن عندما تنتهي تأشيرة دخولنا إلى الأرض تضمحل وتتلاشى كل الروابط البشرية، وسنضطر عندئذ إلى ترك كل الأشياء التي كنا نظن أننا نمتلكها. والكاين الوحيد الذي يرافقتنا في كل زمان ومكان هو قريبننا الأزلي الأبدي الله. ألا فاعلموا الآن أنكم الروح لا الجسد. لماذا تنتظرون الموت كي يعلمكم بطريقته الفظة المباغطة؟"

❀ وجد المعلم أنه من الضروري تأنيب أحد التلاميذ بسبب غلطة خطيرة، وفيما بعد قال

متنهدا:

"لكم أود أن أؤثر بالآخرين عن طريق المحبة لا غير! إن قلبي يتصدع ويتوجع عندما أجد أن لا مفر من تدريبهم بطريقة أخرى."

❀ حاول أحد العقلانيين المتعجرفين إرباك المعلم أثناء بحث مسائل فلسفية معقدة، فقال المعلم

مبتسما:

"الحق لا يخشى من الأسئلة أبداً."

❀ اعترف أحد التلاميذ بحزن للمعلم، قائلاً: "إنني غارق في الأخطاء لدرجة لا أجد معها أملا

في التقدم الروحي. وعاداتي السيئة قوية ومستحكمة بحيث أن مجهود مقاومتها قد أنهكني واستنزف قواي".

فأجاب المعلم متسانلاً:

"أبمقدورك إذاً أن تحسن مقاومتها غداً بدلاً من اليوم؟ سوف تتوجه إلى الله يوماً ما. أفليس من الأفضل التخلص منها الآن؟ سلّم أمرك لله وقل له: "إلهي، سواء كنت عاقفاً أم باراً فإنني خاصتك، وأطلب منك أن تعينني وتكأني برعايتك".

"إن واصلت بذل الجهود وتكرار المحاولات فستتغير نحو الأفضل. فالقديس هو ذلك الخاطئ الذي لم يكف عن المحاولة في إصلاح ذاته".

✿ قال المعلم:

" في غياب الفرح الباطني يجنح الناس نحو الشر. والتأمل على إله الغبطة يملؤنا طيبة وصلاًحاً".

✿ قال المعلم:

إن بين الجسد والعقل والروح ارتباطاً وثيقاً متبادلاً، ويؤثر أحدهم على الآخر. فواجبك نحو الجسد هو أن تبقيه سليماً معافى، ونحو العقل أن تنمي قواه، ونحو الروح أن تتأمل يومياً على مصدر وجودك. إن قمت بواجبك نحو الروح فإن الجسد والعقل سينتفعان أيضاً. ولكن إن أهملت أمر الروح فسيعاني كذلك الجسد والعقل نتيجة لذلك الإهمال".

✿ استفهم أحد التلاميذ: "يا معلم، لقد علمتنا كي لا نصلي من أجل الحصول على الأشياء المادية، بل أن نطلب من الله كي يظهر ذاته لنا. فهل من الخطأ أن نسأله كي يحقق لنا حاجة ما؟" فأجاب المعلم:

"لا بأس أن نخبر الله بأننا نريد شيئاً ما، ولكننا نظهر إيماناً كبيراً إن قلنا ببساطة: "يا رب، إنني أعلم أنك تدرك مسبقاً كل ما احتاجه، فاسندني وأعطني حسب مشيئتك".

إن رغب إنسانٌ، على سبيل المثال، باقتناء سيارة فخمة وصلى بحرارة كي يمتلكها فسوف يحصل عليها. ولكن امتلاك سيارة قد لا يكون أفضل شيء بالنسبة له. إن الله لا يصغي أحياناً لابتهالاتنا الصغيرة لأنه يريد أن يتحفنا بهبات أروع وعطايا أفضل".

ثم استطرد قائلاً: "رسخ إيمانك بالله وثق بأن الذي خلقك سيعيلك ويزودك بضرورات العيش".

✿ أخفق أحد التلاميذ في تجربة روحية فراح يلوم نفسه بحسرة ومرارة، فقال له المعلم:

"لا تعتبر نفسك خاطئاً، لأنك إن فعلت دنست الوعي الإلهي في داخلك. لماذا تربط ذاتك مع نقاط ضعفك؟ أكد بدلا من ذلك هذه الحقيقة لنفسك: "أنا قريب من الله وهو يحبني".

ابتهل له: "إلهي، سواء كنت عاقفاً أم طيباً فإنني خاصتك. يقظ من جديد تذكرني وشوقي لك يا رب!"

✳️ علق أحد زائري صومعة إنسينيتاس قائلاً: "كثيراً ما أفكر بأن الله ينسى الإنسان، وهو بلا شك يتحاشى التقرب من البشر." فأجاب المعلم:

"بل الإنسان هو الذي يتجنب القرب من الله. من هم وأين هم الذين يطلبون التعرف على الله؟ إن هياكل معظم العقول البشرية تغطى بأوثان الأفكار المضطربة والرغبات والشهوات الجامحة. وهكذا يصبح الله نسياً منسياً. ومع ذلك فإنه يرسل أنبياءه وأوليائه المستنيرين من حين إلى آخر كي يذكرنا الإنسان بإرثه المقدس.

"مستحيل أن يهجرنا الله أو يتخلى عنا. فهو يعمل بخفاء بكل السبل لمساعدة بنيه المحبوبين (من رجال ونساء) ولتسريع تقدمهم الروحي".

✳️ طلب أحد المريدين الشباب النصيحة فقال له المعلم:

"العالم يفرس بك العادات السيئة والميول المنحرفة، ولكن العالم لن يكون مسؤولاً ولن يعطي جواباً أو يقدم حساباً عن أخطائك الناجمة عن تلك الميول والعادات. إذاً لماذا تمنح كل وقتك لصديق مخادع؟ خصص ساعة يومياً من أجل الاكتشافات الروحية العلمية. أليس الله – واهبك الحياة والأسرة والمال وكل شيء آخر – بمستحق لجزء واحد من أربع وعشرين من وقتك؟"

✳️ سأل تلميذاً: "سيدي، لماذا يستهزئ بعض الناس بالقدسيين ويسخرون منهم؟"

فأجاب المعلم:

"فاعلو الشر يبغضون الحق والديويون قانعون بالإنحراف والإنجراف وراء التيار. كلا الفريقين لا يحب التغيير. لذلك فإن مجرد التفكير بالقدسيين يقلقهم ويعكّر راحتهم. وهؤلاء يمكن تشبيههم برجل عاش لسنين طويلة في حجرة مظلمة. وإذا شعل أحدهم الضوء فإن السطوع المبالغت يزعج شبه المكفوف ويبدو بالنسبة له ظاهرة غير اعتيادية".

✳️ تحدث المعلم ذات يوم عن التمييز العنصري فقال:

"إن الله لا يرضى بأن توجه له الإهانة عندما يرتدي ثيابه السوداء".

✳️ قال المعلم:

"يجب ألا نرهب كوابيس الألم والأناطير فرحاً بأحلام الاختبارات الجميلة. فإن أولينا أهمية لثنائيات الوهم الكوني مايا أو لازدواجيات الأضداد التي لا فكاك منها فإننا بذلك ننسى الله مقررّ النعيم الأبدي الذي لا يتغير ولا يتبدل. وعندما نستيقظ به سندرك أن الحياة البشرية ليست سوى صور قوامها الظلال والنور، مسلطة على شاشة السينما الكونية".

✳️ أبدى زائر الملاحظة التالية:

"مع أنني أحاول تهدئة عقلي، لازلت أفقد القدرة على التخلص من الأفكار المضطربة والنفاذ إلى العالم الباطني. لا بد أنني أفقر إلى الحب الإلهي." فأجاب المعلم:

"إن الجلوس في الصمت محاولاً الشعور بالحب الإلهي قد لا يجديك نفعاً. لهذا السبب أعلم فنون وطرق التأمل العلمي. مارس هذه الفنون وستتمكن من عزل العقل عن المشوشات الحسية وتيارات الأفكار العابرة الأخرى".

ثم أضاف: "بممارسة الكريا يوغا يرتقي وعي الممارس ويعمل على مستوى أرفع. عندها سيبزغ الحب الإلهي للروح اللانهائي تلقائياً في قلب المرید".

✿ وصف المعلم حالة "الكف عن العمل" الواردة في البهاغافاد – غيتا، فقال:

"عندما يقوم اليوغي الصادق (المرید المخلص) بأداء عمل ما، فإنه لا يترك – من الناحية الكارمية – أثراً، تماماً كالذي يكتب على صفحة الماء." [أي لا يترك خلفه سجلاً كارمياً].

المعلم المستنير وحده هو المتحرر من قيود الكارما (القانون الكوني الصارم الذي يحتم على الأشخاص غير المستنيرين تحمّل نتائج أفكارهم وأفعالهم).

✿ استصعب أحد التلاميذ تصوّر وجود الله في جسد الإنسان، فقال المعلم:

"مثلما يُظهر الفحم المتوهج وجود النار، هكذا تنبئ الآلة الجسدية العجيبة عن وجود الروح الإلهي فيها".

✿ قال المعلم في إحدى محاضراته:

"بعض الناس يفكرون أنه ما لم يعان المتعبد محناً وتجارب فلن يكون قديساً. آخرون يصرون على أن العارف بالله ينبغي أن يكون متحرراً من الألم. إن حياة كل معلم تسير وفقاً لنموذج خفي ومحدد. القديس فرنسيس الأسيزي مثلاً كان مصاباً بالعاهات الجسدية، والمسيح الكلي التحرر سمح بأن يُصلب جسده. (والنبي محمد عليه السلام نادى بالجهاد الأكبر: مجاهدة النفس).

بعض الشخصيات العظيمة الأخرى من أمثال (المعلم الملكي) توما الأكويني ولاهيري مهاسايا أمضوا حياتهم دون عناء يذكر. يبلغ القديسون الخلاص الأخير من خلفيات مختلفة جداً.

الحكماء الحقيقيون يبرهنون ذلك بصرف النظر عن الظروف الخارجية. فهم لديهم القدرة على إظهار صورة الله في داخلهم، ويقومون بأداء الأدوار التي يخصصها لهم الله، سواء أعجب ذلك الناس أم لم يعجبهم".

✿ قال المعلم:

"إن الله يفهمك عندما يسيء الكل فهمك. إنه المحب الذي يربحك بحنان ويعطف عليك دوماً مهما كانت أغلاطك وأخطاؤك. الآخرون يمنحوك مودتهم لفترة قصيرة ومن ثم يهجروك. ولكن الله لا يتركك ولا يتخلى عنك. ففي وسائل لا حصر لها يلتمس الله حبك يومياً. إنه لا يعاقبك على رفضك له ولكنك تعاقب نفسك إن فعلت وستجد أن كل الأشياء تخدعك إن لم تكن وفيّاً لله." (إن خُنْتُ رَبِّيَّ خَانَتْكَ الْمَقَادِيرُ).

✿ استعلم أحد التلاميذ قائلاً:

"سيدي، هل تستحسن الطقوس الدينية؟" فأجاب المعلم:

"الشعائر الدينية قد تلهم الإنسان كي يفكر بالله خالقه الأعظم. ولكن إن زادت عن حدها تحيّرت النفوس بمغزاها وجدواها!"

✻ سأل أحد التلاميذ: "ما هو الله؟"

فأجاب المعلم:

"الله هو الغبطة الأبدية. جوهره المحبة والحكمة والسعادة المطلقة. إنه يظهر أمام قديسيه بالشكل الذي يحبّه كل منهم. والمريدون الذين يعبدون المظهر اللا شخصي يشعرون بالله كنور لا نهائي، أو يسمعون صوت أوم أو أمين الإلهي العجيب: الكلمة الأزلية.. الروح الأمين. إن أسمى اختبار يمكن للإنسان أن يحصل عليه هو أن يتذوّق تلك الغبطة التي تحوي كل مظاهر الإلوهية الأخرى من محبة وحكمة وخلود. ولكن كيف لي أن أنقل لك بالكلام طبيعة الله؟ إنه يعصى على التوصيف. فقط بالتأمل العميق ستتعرف على جوهره الفريد".

✻ قال المعلم إثر التحدث إلى زائر مغرور يفرط في الحديث عن نفسه:

"إن أمطار الرحمة الإلهية لا تتجمع فوق قمم الكبرياء المتشامخة، بل تنحدر بسهولة إلى أودية التواضع!"

✻ كان المعلم يقول لتلميذ من ذوي الميول العقلانية كلما رآه:

"عليك بالحب الإلهي! تذكر كلمات السيد المبارك: "أشكرك لأنك أخفيت هذه (الحقائق) عن الحكماء والفهماء (في عيون أنفسهم) وأعلنتها للأطفال (الأبرياء)".

وزار التلميذ المعلم في خلوته بالصحراء في ميلاد عام 1951، وكان على طاولته بعض الألعاب التي كان ينوي تقديمها للآخرين كهدايا. وبروح الأطفال أخذ السيد برمهناسا يلهو بها لفترة ما، ثم سأل التلميذ: "أتعجبك هذه الدمى؟" فأجاب التلميذ ضاحكاً وهو يحاول إخفاء الدهشة التي اعترته: "أجل يا سيدي".

فابتسم المعلم واستشهد ثانية بأقوال السيد المسيح: "دعوا الأولاد يأتون إليّ لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله".

✻ كان أحد التلاميذ مرتاباً في قدرته على مواصلة طريقه الروحي. ولكي يشجعه، قال المعلم

له: "الله ليس بعيداً، بل قريب وأراه حاضراً في كل مكان".

فقال التلميذ محتجاً: "ولكنك معلم عارف بالله يا سيدي!"

فأجاب المعلم: "كل النفوس سواسية، والفارق الوحيد بينك وبينني هو أنني بذلت المجهود. لقد أثبت لله أنني أحبه فأظهر ذاته لي. اعلم أن الحب الإلهي هو المغناطيس الذي لا يقدر الله على الإفلات منه!"

✻ قال المعلم محذراً طلاب معرفة الذات من التهامل الروحي:

"عندما يبلغ المرید حالة الإستنارة التامة (نيبيريكالبا صمادهي) لا يسقط في أشراك الخداع بعدها. ولكن ما لم يبلغ تلك الحالة سيظل عرضة للسقوط والخطأ. لقد كان لمعلم هندي شهير تلميذ متقدم جدا في الروحيات بحيث كان معلمه يعتبره قدوة حسنة ومثالا صالحا لغيره. وذات يوم لمح التلميذ إلى أنه كان يساعد امرأة تفتية بالتأمل معها، فقال له معلمه: "احذر واحترس يا حضرة الناسك!"

وبعد أسابيع قليلة أفرخت بعض بذور الكارما السيئة في حياة التلميذ ففر مع المرأة لكنه بالرغم من ذلك عاد سريعا إلى معلمه وصاح معتذرا: "العفو يا سيدي! إنني آسف ونادم كثيرا على ما حدث".

فهو لم يسمح لغلظة كي تصبح محور حياته بل رمى بكل الأخطاء وراء ظهره وضاعف جهوده من أجل بلوغ المعرفة التامة للذات الإلهية. ومن هذه الحكاية ستجدون أنه من الممكن أن يغرق حتى كبار المتعبدين – لفترة ما – في لجج الخداع. فإياكم أن ترخوا حبل اليقظة والاحتراس ما لم تتحدوا بالغلظة الكلية".

✻ قال المعلم:

"العلوم المادية هي ذات طابع نظري أكثر من الدين الصحيح ذي الطابع العملي. فالعلم يستطيع استقصاء وتحري مسالك ومسارات الذرة ومعرفة طبيعتها الخارجية، لكن ممارسة التأمل تمنح المقدرة الكلية بحيث يتمكن اليوغي من التوحد مع الذرة نفسها".

✻ كان تلميذ لجوج كثيرا ما يحضر إلى المركز الرئيسي لمعرفة الذات دون توقع، وكثيرا ما كان يتصل هاتفيا collect [على حساب المعلم]، فقال المعلم ذات مرة: "إنه شخص غريب الأطوار ومع ذلك فقلبه مع الله. وبالرغم من كل عيوبه سيصل إلى هدفه لأنه لن يدع الله وشأنه حتى يحقق غايته".

[في عام 1980 التقى المترجم بذلك الشخص الغريب الأطوار وعمل معه في أحد مراكز معرفة الذات كما أنه سمع منه مباشرة أن المعلم العظيم ظهر أمامه قبل أن يلتقي به، مما يدل على أنه كان أحد التلاميذ في تجسد سابق، وهو من أصل هنغاري].

✻ عندما وفد المعلم إلى أمريكا (سنة 1920) كان يرتدي آنذاك الزي الهندي التقليدي، وكان شعره طويلا مسترسلا على كتفيه. فسأله أحد الأشخاص، وكان قد افتتن بما بدا له منظرا غريبا، قال: "هل أنت عرّاف، قارئ حظوظ؟" فأجاب المعلم:

"لا هذا ولا ذلك. لكنني أعلم الناس كيف يحسنون حظوظهم ويضاعفون فرص نجاحهم".

✻ تحدث المعلم ذات يوم للتلاميذ عن قديس سقط من مستوى رفيع بسبب عرضه للقوى الخارقة أمام الجموع، قال:

"لكنه أدرك غلظته سريعا وعاد إلى تلاميذه. وفي آخر أيام حياته بلغ حالة التحرر التام".

وهنا استعلم أحد المريرين: "سيدي، كيف استطاع أن يرتقي ثانية بهذه السرعة؟ أليست العقوبة الكونية لرجل يسقط من حالة سامية أشد صرامة منها لشخص عادي يتصرف بدافع الجهل؟ ومن المفارقة أن القديس الهندي لم ينتظر طويلا لبلوغ الخلاص الأخير!"
فهز المعلم رأسه وقال مبتسماً:

"الله ليس ظالماً مستبداً. إن شخصاً معتاداً على تناول طعام في منتهى اللذة لن يطيب له الإغذاء على الطعام التافه المذاق. وإن طلب الطعام اللذيذ ثانية بقلب منسحق فلن يحرمه الله مشتهاه".

✻ ظن أحد الأصدقاء أنه من غير اللائق لجماعة معرفة الذات القيام بالنشر والإعلان للترويج للتعاليم الروحية، فقال المعلم:

"إن شركة ريغلي تستخدم الدعايات لإقناع الناس بضرورة مضغ اللبان (العلكة)، فما الضرر من استخدامي النشر والإعلان لاستمالة الآخرين كي يمضغوا أفكاراً طيبة؟!"

✻ تحدث المعلم عن الكيفية السريعة التي بها نتحرر بنعمة الله من أوهام الخداع الكوني، قال:
"في هذا الكون نبدو غارقين في بحر المتاعب والآلام، فيهزنا الله كي يوقظنا من هذا الحلم المرعب. وكل إنسان – عاجلاً أم آجلاً – سيحصل على ذلك الإختبار التحرري الرائع".

✻ كان أحد التلاميذ يتردد بين طريق الزهد والمطامح الدنيوية، فقال له المعلم بلطف:
"إعلم أن كل ما تسعى للحصول عليه، وأكثر منه بكثير، ينتظرك في الله".

✻ قال المعلم لتلميذ كان يبدو غارقاً في العادات السيئة:
"إن كانت تعوزك قوة الإرادة فحاول تنمية قوة اللا إرادة (أي اللا إرادة في ارتكاب الخطأ).

✻ قال المعلم ذات مرة:

"يا لها من مسؤولية جسيمة يتحملها المرء عندما يحاول إصلاح الآخرين! فالوردة تبدو جميلة في المزهرية ولكن الآخرين ينسون كل أعمال البستنة التي ساهمت في جعلها يانعة ناضرة. وإن اقتضى إنتاج وردة ندية مجهوداً كبيراً فأى عناء يلزم لإنتاج كائن بشري مستكمل!"

✻ قال المعلم:

"لا تختلطوا كثيراً بالآخرين. فالصداقات لا تشبع نفوسنا ما لم تكن راسخة في الحب المشترك لله. إن تشوقنا للفهم الودي من الآخرين هو بالحقيقة حنين النفس للإتحاد بمصدرها: الله. وكلما التمسنا ذلك الحنين عن طريق الأشياء الخارجية كلما قلت احتمالية عثورنا على الرفيق الأعلى".

✻ قال المعلم:

"هناك ثلاثة أصناف من المريرين الروحين: مؤمنون يحضرون بيوت العبادة وهم قانعون بذلك فقط، ومؤمنون يحبون حياة النزاهة والاستقامة لكنهم لا يبذلون المجهود اللازم للتوحد مع الله، ومؤمنون مصممون على اكتشافهم ذاتهم الحقّة".

✻ عندما سئل المعلم كي يعرف معرفة الذات قال:

"معرفة الذات هي العلم جسدا وعقلا وروحا بأننا واحد مع وجود الله الكلي، وأنه لا يتوجب علينا الابتغال كي نحصل على تلك المعرفة. فنحن لسنا قريبين من ذلك الوجود وحسب، بل أن وجود الله الكلي هو وجودنا الكلي أيضا، وأنا قريبون منه الآن بنفس الدرجة التي سنكون بها قريبين منه في أي وقت آخر، وما علينا إلا أن نحسن معرفتنا به".

✻ قال المعلم:

"إن الله يحقق بسرعة أية حاجة لمتعبديه لأنهم تحرروا من الدوافع الأنانية التي تحبط المساعي وتخيّب الآمال. في أوائل أيام معرفة الذات، كان الرهن مستحق الدفع ولم يكن لدينا الرصيد الكافي في البنك، فابتهلت بحرارة وقلت لله: "مسير المؤسسة بين يديك". وبعد ذلك بقليل وصلني عن طريق البريد تبرع مالي كبير للمؤسسة فحلت المشكلة المالية.

✻ كان أحد التلاميذ أمينا وسريع الإنجاز لأي عمل يطلبه منه المعلم، لكنه لم يكن ليسدي أية خدمة للآخرين. وعلى سبيل التقويم قال له المعلم:

"يجب أن تخدم الغير تماما مثلما تخدمني. أعلم أن الله يسكن في الجميع، فلا تدع فرصة كسب رضاه تفوتك".

✻ قال المعلم:

"الموت يعلمنا عدم الاعتماد على الجسد بل على الله. لذلك فالموت من هذه الناحية هو صديق. يجب أن نبالغ في حزننا على أحبابنا المفقدين. فمن الأنانية أن نتمناهم دوما بقربنا من أجل متعتنا وراحتنا. وينبغي أن نبتهج لأنهم استدعوا للاقتراب من حرية الروح في الآفاق الرائعة لأحد العوالم الأثيرية.

إن أسى الفراق يجعل معظم الناس ينتحبون لفترة قصيرة ومن بعدها ينسون الفقيد الراحل. أما الفهماء فيشعرون بدافع خفي كي يبحثوا عن أعزائهم في قلب الكائن الأزلي. فالذي يفقده المريردون في الحياة الفانية يعثرون عليه ثانية في الوجود اللانهائي".

✻ استعلم تلميذ: "سيدي، ما هو في تقديرك أفضل دعاء؟"

فقال المعلم:

"قل لله: أرجوك يا رب أن تعرفني على إرادتك. لا تقل: أريد هذا وأريد ذاك، بل آمن وثق بأن الله يعرف حاجتك وستجد بأنك تحصل على أشياء أفضل بكثير عندما يختارها هو لك".

✻ غالبا ما كان المعلم يطلب من التلاميذ القيام ببعض الأعمال، وعندما أهملت إحدى التلميذات

واجبا صغيرا محتسبة أنه شيء زهيد لا يستحق الإهتمام، عاتبها المعلم قائلاً:
"إن الأمانة في إنجاز الواجبات الصغيرة تقوينا كي نتمسك بمقررات صعبة ستضطرنا الحياة
كي نتخذها يوماً ما".

✻ قال المعلم لتلميذ حديث، مستشهداً بأحد أقوال معلمه سري يوكتسوار:
"بعض الأشخاص يعتقدون أن دخول الصومعة قصد التدريب والتهذيب الذاتي هو أمر يبعث
على الحزن كالطقوس الجنائزية ومراسم الدفن، غير أنها قد تكون تكفين ودفن كل الأحزان
والمنغصات!"

✻ قال المعلم:
"من الحماسة أن نتوقع السعادة الحقيقية من التعلقات والمقتنيات الأرضية لأنها لا تقدر أصلاً
على تحقيقها لنا. ومع ذلك فإن ملايين البشر يموتون مكسوري خاطر، منسحقي القلب بعد
محاولاتهم غير المجدية للعثور في الحياة الدنيوية على تلك السعادة التي لا وجود لها إلا في الله
ينبوع كل فرح وابتهاج".

✻ قال المعلم :
"الخطيئة هي كل ما يبقيك غافلاً عن الله وغير مهتم به".

✻ كان أحد طلاب الصومعة شديد الوله بالعبث والمزاح. فالحياة بالنسبة له بدت تسلية دائمة.
وضحكاته التي كانت تلقى الاستحسان أحياناً، كثيراً ما كانت تصد المرادين الآخرين عن التفكير
الهادئ الرزين بالله .

وفي أحد الأيام زجر برمهنساجي التلميذ بلطف قائلاً :
"يجب أن تكون أكثر جدية".
فأجاب التلميذ نادماً بكل إخلاص على خفته وعدم اتزانه :
"أي والله يا سيدي، ولكن عادتي قوية جداً! وكيف يمكنني تغيير ذاتي دون الحصول على
بركتك"

فأكد له المعلم وطمأنه قائلاً :
"إن بركتي موجودة، وبركة الله موجودة أيضاً، ولا تمس الحاجة إلا لبركتك أنت!"

✻ سيدتان كانتا تتركان سيارتهما دون قفل، فقال لهما المعلم :
"اتخذوا الحيطة اللازمة. أقفلا أبواب سيارتكما." فصاحتا: "وأين إيمانك بالله؟" فأجاب:
"عندي إيمان، ولكن ذلك لا يعني الإهمال والتسيب."
لكنهما استمرتاً في ترك السيارة دون إقفال. وذات يوم سطا لصوص على السيارة وسرقوا
الكثير من الأشياء النفيسة التي كانت قد تركت في المقعد الخلفي.

فقال المعلم: "لماذا تتوقعان من الله أن يحرسكما إن أهملتما قوانين العقل والحيلة الممنوحة منه؟" ثم أضاف: "امتلكا الإيمان ولكن كونا واقعتين، ولا تغريا الآخرين." [أعقلها وتوكل]

✻ انهمك بعض التلاميذ في دوامة من العمل بحيث أهملوا تأملهم، فنبههم المعلم قائلاً: "لا تقولوا غداً سنتأمل أكثر، لأنكم إن فعلتم ستجدون أن سنة بكاملها قد انقضت دون تحقيق غرضكم السامي. قولوا بدلاً من ذلك: هذا يمكن أن ينتظر وذاك يمكن أن ينتظر، لكن بحثي عن الله لا يمكن أن ينتظر."

✻ قال تلميذ: "سيدي، لماذا يعرف بعض المعلمين أكثر من غيرهم من المعلمين الروحين؟" فأجاب السيد برمهנסا: "إن كل الذين بلغوا حالة التحرر التام متساوون في الحكمة. إنهم يعرفون كل شيء لكنهم نادراً ما يظهرون تلك المعرفة. ولكي يكسبوا مرضاة الله فإنهم يؤدون الدور الذي خصه لكل منهم. وإن صدرت عنهم بعض الزلات والهفوات فلأن ذلك هو جزء من دورهم البشري. لكنهم لا يتأثرون داخلياً بأضداد وثنائيات مايا: الوهم الكوني."

✻ قال أحد التلاميذ للمعلم: "سيدي، إنني أجد صعوبة في الإحتفاظ بالصدقات التي أبنيتها." فأجاب المعلم: "انتقِ صحكك بحرص وعناية. كن أنيساً مخلصاً معهم ولكن احتفظ دوماً ببعض المسافة وليكن الإحترام المتبادل صلة الوصل بينك وبينهم، ولا تتخط حدود اللياقة معهم. من السهل مصاحبة الآخرين، ولكن إن رغبت في المحافظة على مودتهم واحترامهم لك فعليك العمل بهذه النصيحة."

✻ سأل تلميذ: "يا معلم هل يمكن لنفس ما أن تفقد فقداناً أبدياً؟" فأجاب السيد برمهנסا: "مستحيل! لأن كل نفس هي جزء لا يتجزأ من الله، ولذلك فهي باقية، خالدة، لا يمسه الفناء."

✻ كان أحد المريدين لا يألو جهداً في البحث عن علامات التقدم الروحي، فقال له المعلم: "إن زرعت بذرة ونبشتها كل يوم لتفحص نموها فلن تتأصل شروشها في التربة ولن تنمو. اعتن بها عناية صحيحة، ولكن لا تكن كثير الفضول."

✻ قال المعلم: "التفتح الروحي بالنسبة للمريد الصادق والجاد على الطريق الصحيح هو حدثٌ طبيعي يمر دون أن يلحظه. فعندما يمنح الإنسان قلبه لله يفكر به تفكيراً متواصلاً لدرجة أنه لا يدرك معها بأنه قد حلّ كل مسائل ومشاكل الحياة. وإذ يشرع الآخرون بمناداته (يا معلم) يقول في نفسه: "يا سبحان الله! هل أصبح هذا الخاطئ قديساً؟ فليشرق نورك يا إلهي على محيائي بحيث لا يبصرني أحد، بل يبصروك أنت وحدك."

✳ كان بعض التلاميذ يناقشون الصفات المميزة لأحد الأشخاص، ومن جملة ما قالوه: "إن فلاناً بالفعل هو شخص غريب الأطوار!" فقال المعلم:
"ولم تتعجبون؟ الناس أجناس وهذا العالم ليس سوى معرض الرب الذي فيه من كل ما هب ودب!"

✳ سأل أحدهم: "أليست تعاليمك بخصوص كبح العواطف خطيرة. إذ العديد من علماء النفس يقولون بأن الكبت يؤدي إلى اضطرابات نفسية وأمراض جسدية كذلك."
فأجاب المعلم:

"إن كبت العواطف هو أمرٌ مضرٌّ دون شك: أي التفكير المتواصل بشيء ما دون القيام بالخطوات البناءة للحصول عليه. ولكن ضبط النفس مجدٍ ونافع: أي استبدال الأفكار الخاطئة بالسليمة والأفعال القبيحة بالنافعة الكريمة. الذين ينغمسون في الشرور يجلبون الأذى والضرر على أنفسهم. أما الذين يملأون عقولهم بالحكمة والتفكير الإيجابي وينهمكون بالنشاطات البناءة فيجنبون أنفسهم آلاماً فظيعة ومعاناة مفرجة".

✳ قال المعلم:

"إن الله يمتحننا بشتى الطرق. فهو يظهر مواطن ضعفنا لعلنا نتعرف عليها ونحوّلها إلى قوى وطاقات نافعة. أحياناً قد يضع في دروبنا محناً وتجارب تبدو فوق طاقتنا واحتمالنا، وأحياناً يبدو وكأنه يدفعنا بعيداً عنه. ولكن المرید الفطين يقول: "أريدك يا رب مهما كانت الظروف التي تواجهني، ولا شيء يمكن أن يصدني عنك. ودعاء قلبي الصادق هو: لا تدخلني في تجربة نسيان وجودك أو إغفال التفكير بك."

✳ استعلم تلميذ متشكك: "سيدي هل سأترك يوماً ما الطريق الروحي؟"

فأجاب المعلم:

"وكيف يمكنك ذلك وكل إنسان في العالم هو على الطريق الروحي؟"
[المقصود هنا أن غاية الحياة هي العودة إلى الله عن طريق الطريق الروحي. وسواء أدرك الناس هذه الحقيقة أم لا، فإن طبيعتهم الروحية تدفعهم نحو الهدف النهائي بطريقة أو بأخرى، بكيفية واعية أو لاشعورية.]

✳ جاء تلميذ إلى المعلم وقال له بلهفة: "سيدي، هلاّ تكرمت ومنحتني الشوق الإلهي؟"

فأجاب المعلم:

"بالحقيقة أنت تقول: اعطني المال حتى أتمكن من شراء ما يحلو لي، ولكني أقول: لا. يجب أولاً أن تكسب المال بنفسك وعندها سيكون من حقك التمتع بما تشتريه!"

✳ قص المعلم هذا الاختبار كي يلهم أحد التلاميذ في إقلاع طائرة عقله عن المستوى الأرضي:

"رأيت ذات يوم نملة صغيرة تحاول تسلق كومة من الرمل، فقلت ببني وبين نفسي: لا بد أن

النملة تفكّر بأنها تتسلق جبال الهملايا! ربما بدت كومة الرمل هائلة الحجم بالنسبة للنملة ولكن ليس لبصري. وبالمثل فإن ملايين من أعوامنا الشمسية قد تكون أقل من دقيقة واحدة في عقل الله. يجب تدريب أنفسنا على التفكير بالأمور العظيمة مثل الأبدية واللانهاية."

✳ كان المعلم يقوم بتمرين المساء على أرض صومعة إنسينيتاس مع مجموعة من التلاميذ. وأثناء التمرين استعلم أحد الشبان من المعلم عن قديس لم يعرف اسمه، قال: "سيدي إنه المعلم الذي ظهر أمامك هنا منذ عدة شهور." فأجاب المعلم: "لا أذكر." فقال الشاب: "كان ذلك في الحديقة الخلفية يا سيدي." فقال المعلم: "قديسون كثيرون يزورونني هنا. أرى بعض الذين فارقوا العالم وبعض الذين لا يزالون على هذه الأرض." فقال الشاب: "ما أروع ذلك يا سيدي!" فأجاب المعلم:

"حيثما يوجد متعبد لله يفتقده أولياء وقديسو الله بالزيارة." وهنا توقف المعلم للحظة، ممارساً بعض التمارين الرياضية، ثم قال:

"البارحة أثناء التأمل في غرفتي أردت أن أعرف بعض الأمور عن حياة معلم عظيم عاش في العصور الخوالي، فتجسد ذلك المعلم أمامي وجلسنا على سريري لفترة طويلة، جنباً إلى جنب، يداً بيد."

فقال الشاب: "وهل أخبرك عن حياته يا سيدي؟" فأجاب المعلم:

"في تبادل الأمواج والاهتزازات الروحية حصلت على كل ما كنت أتوق لمعرفة."

✳ وضح المعلم العظيم برمهنسا السبب من عدم تمكن الناس – باستثناء قلة قليلة منهم – من التعرف على الرب اللانهائي، فقال:

"إن كوباً صغيراً لا يقدر على احتواء مياه المحيط. لكن إن تابع المرید توسيع مداركه بالتأمل الجاد فسيحصل في النهاية على المعرفة الكلية، لأنه سيتوحد مع الوعي أو العقل الإلهي الكوني الحال في كل ذرة من ذرات الوجود."

✳ ترك أحد التلاميذ الصومعة بعد أن أمضى فيها فترة من الزمن، وعندما عاد ذات يوم قال بحزن للمعلم: "ما الذي دعاني لمغادرة هذا المكان المبارك؟" فعلق المعلم متسانلاً:

"أليس هذا المكان جنة مقارنة بالعالم الخارجي؟"

فأجاب الشاب: "إي والله إنه كذلك يا سيدي." ثم نشج منتحبا لدرجة أن المعلم بكى لبكاه.

✳ شكت إحدى أخوات معرفة الذات من عدم شعورها بالحب الإلهي، قالت:

"هذا لا يعني أنني لا أريد التعرف على الله، لكنني أبدو غير قادرة على توجيه حبي له. فما الذي ينبغي أن يفعله أولئك الذين يعانون مثلما أعاني من حالة الجفاف الروحي هذه؟"

فأجاب المعلم:

"يجب أن تدعي جانباً التفكير بأن الحب الإلهي يعوزك، وعليك أن تعلمي على تنميته. ولماذا

تقلقين وتتكررين لأن الله لم يظهر ذاته لك؟ فكثري بالزمن الطويل الذي تغافلتى فيه عن الله! ضاعفي مجهودك التألمي. تعمقي بالتفكير المقدس. اتبعي تعليمات الصومعة واعلمي بموجب الإرشادات والتوجيهات وسترين أنه بتغيير عاداتك ستوقظين في قلبك ذكرى حضوره المبارك. وإذ تتعرفين على الله فإنك دون أدنى شك ستحبينه".

✳️ في أحد أيام الأحد دعي المعلم لحضور قداس في إحدى الكنائس، وقد قامت جوقة المرثلين بإنشاد بعض الترانيم احتفاءً به. وإثر انتهاء القداس سأل رئيس الجوقة برمهناجي: "هل استمتعت بالغناء؟" فأجاب المعلم دون حماس: "كان لا بأس به." فقال المنشدون: "إذاً لم يعجبك!" أجاب: "ولكني لم أقل ذلك".

وإذ ألحوا عليه في السؤال طالبين إعطاءهم مزيداً من الإيضاح، قال المعلم: "من الناحية الفنية كان الإنشاد رائعاً، ولكنكم لم تعرفوا لمن كنتم تنشدون. لقد كان همكم الوحيد إرضائي وإرضاء الحاضرين. في المرة القادمة لا ترنموا للإنسان بل لله".

✳️ كان التلاميذ يناقشون بتعجب الآلام التي تحملها برضاء القديسون الشهداء عبر التاريخ، فقال المعلم:

"إن مصير الجسد لا أهمية له بالنسبة للعارف بالله. الجسد يشبه الصحن الذي يستعمله المتعبد أثناء تناول حكمة الحياة. وبعد أن يُشبع جوعه للأبد فما قيمة الصحن الذي قد ينكسر ويتحطم؟ ولكن هيهات أن يشعر المتعبد بذلك لأنه يفنى في الله الواحد الأحد".

✳️ كانت أمسيات الصيف الطويلة غالباً ما تشهد المعلم منهما في النقاشات الروحية مع التلاميذ على شرفة صومعة إنسينيتاس. وذات مرة تحول الحديث إلى المعجزات، فقال المعلم: "معظم الناس مهتمون بالمعجزات ويرغبون مشاهدتها. لكن معلمي الجليل سري يوكتسوار الذي كان يمتلك القدرة على التحكم بكل القوى الطبيعية كان صارماً من هذه الناحية. وقبيل مغادرتي الهند كي أحاضر في أمريكا قال لي: "يقتظ حب الله في قلوب الناس، ولا تجتذبهم إليك بعرض القوى الخارقة".

فإن مشيتُ على النار والماء وملأتُ قاعات المحاضرات بالباحثين الفضوليين، فأى خير يحصل من ذلك؟ انظروا النجوم والغيوم، والبحر وقطرات الندى المعتلقة بالأعشاب والأزهار! فهل لمعجزة بشرية يمكن مقارنتها بهذه الظواهر التي لا يمكن تعليلها أو تفسيرها؟ ومع ذلك فما أقل الذين يسترشدون بكتاب الطبيعة كي يحبوا الله معجزة المعجزات!"

✳️ استعلم زائر: "أليست حكمة القديسين ناتجة عن حصولهم على منة خاصة من الله؟" فأجاب المعلم:

"لا. إن امتلاك بعض الناس لمقدار أقل مما يمتلكه سواهم من المعرفة المقدسة لا يعني أن الله يحدّ أو يقنن فيض نعمته إلى البشر، بل السبب يعود إلى أن معظم الناس يعيقون انسياب نوره الدائم السطوع ويحولون دون إشراقه في نفوسهم. وبالتخلص من الحجب المظلمة للأنانية

ومحبة الذات فإن كل بنيه سيتمكنون من إظهار معرفته الكلية في حياتهم".

✻ تكلم أحد الزائرين باستهانة واستخفاف عن ما يُسمى عبادة الأصنام في الهند، فقال المعلم بهدوء:

"إذا جلس إنسانٌ بعينين مغمضتين في مكان العبادة أو تمتم بعبارات دينية سامحا في نفس الوقت لأفكاره بالتحليق والتحويم حول الأمور المادية – التي هي بالفعل أو ثانٍ الدنيويين – فإن الله لعلّ يقين بأن العبادة ليست موجّهة له أو مرفوعة إليه." وإن سجد آخر أمام حجر معتبراً إياه رمزاً ومذكراً للروح الإلهي الحي الكلي الوجود، فإن الله يتقبل منه تلك العبادة."

✻ قال تلميذ للمعلم:

"إنني ذاهب إلى التلال كي أكون وحيداً مع الله."

فأجاب برمهنساجي:

"لن تتقدم روحياً إن فعلت. فعقلك لا قدرة له في الوقت الحاضر على التركيز بعمق على الروح. إن أفكارك ستحوم في أكثر الأحيان حول ذكريات الناس والمتع الدنيوية، حتى ولو اعتزلت في كهف منيع. الإنجاز الصادق الأمين لواجباتك الحياتية مع التأمل اليومي هو الطريق الأفضل."

✻ قال المعلم لتلميذ بعد أن أثنى عليه:

"عندما يُقال لك أنك طيب فينبغي ألا تتقاعس عن بذل المجهود. بل عليك أن تضاعف جهودك كي تصبح أفضل وأحسن. فتحسّنك المتواصل يرضي الله ويرضيك ويسعد كل من حولك."

✻ قال المعلم:

"الإعراض عن بهرج العالم ونبذ الأطماع الدنيوية ليست حالة سلبية بل إيجابية. فهي ليست تخلياً إلا عن التعاسة، ولا تنازلاً إلا عن الشقاء. وينبغي على الإنسان أن لا يفكر بأن الزهد هو طريق تضحية. بل على العكس من ذلك هو استثمار مقدس بحيث أن الفلوس الزهيدة لتهدبنا النفسي ستدرّ علينا ملايين الدولارات الروحية. أليس من الحكمة أن نصرف النقود الذهبية لأيامنا العابرة كي نبتاع بها مملكة النعيم الأبدي؟!"

✻ قال المعلم وهو يحذق في أحواض الزهور التي تزيّن المعبد:

"لأن الله هو الجمال فقد خلق الظرف والملاحة في الأزهار علّتها تتحدث عن روائعه. فهي أكثر من أي شيء آخر في الطبيعة تشير إلى وجوده. إن وجهه المتألق يرنو من براعم الزنابق وأهداب الأقحوان، وفي أريج الورد يهمس قائلًا: "ابحث عني!"

تلك هي طريقته في الإعراب عن ذاته، وما عدا ذلك فإنه يظل ساكناً ساكناً.

إنه يعلن عن شغل يديه في محاسن الخليقة لكنه لا يظهر أنه – هو ذاته – الموجود خلف مظاهر الطبيعة."

✻ طلب اثنان من تلاميذ الصومعة من المعلم كي يأذن لهما بزيارة أصدقائهما، فأجاب:

"في بداية التدريب الروحي من غير المستحسن للمريد أن يكثر من الإختلاط مع ذوي الميول الدنيوية لأن عقله سيصبح نراً كالمصفاة التي يتسرب منها السائل، فلا يقدر على الإحتفاظ بمياه الإدراك الروحي. الرحلات والزيارات المتكررة لن تمنحكما المعرفة بالكانن اللانهائي". ولما كانت طريقة المعلم هي الإيحاء وليس الأمر، أضاف قائلاً: "من واجبي أن أنبهكما عندما أرى أنكما تتحرفان عن الطريق، ولكن افعلما ما يحلو لكما".

✻ قال المعلم:

"إن الله يحاول – على الأرض – تطوير واستنباط الفن العالمي للحياة السعيدة عن طريق بث مشاعر الإخاء في قلوب الناس وغرس احترام وتقدير الآخرين في نفوس بعضهم البعض. لذلك فهو – سبحانه – لم يسمح لأية أمة بأن تكون كاملة بذاتها. فلأفراد كل شعب وهب قدرات وكفاءات خاصة بهم، واختصهم بنبوغ فريد من نوعه، بحيث يمكنهم أن يساهموا مساهمة متميزة في مسيرة الحضارة العالمية. السلام على الأرض سيزهر ويثمر بين الأمم من خلال تبادلها البناء لأفضل الخاصيات والمزايا لكل منها. وإذ نغض الطرف ونتغاضى عن عيوب الشعوب، علينا أن نرى بوضوح فضائلها ونتشبه بها. ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن المُثل العليا قد تجسدت في الأنبياء والرسل والقديسين عبر التاريخ، حيثهم كانوا – وما زالوا – نماذج حية لأسمى التعاليم المقدسة".

✻ كانت أحاديث المعلم تشرق بالابتسامات، وذات مرة قال وهو يبتسم:

"إنني أرى السائرين على الطريق الروحي كالعذائين في حلبة السباق. بعضهم يسرع في الجري، آخرون يتباطئون في السير، وهناك نفر آخر يعدو بالاتجاه الخلفي!" (إلى الوراء ذُر). وفي مناسبة أخرى لاحظ قائلاً:

"الحياة هي معركة صراع وكفاح. الناس يحاربون أعداءهم الباطنيين من جهل وجشع، وكثيرون يصرعهم رصاص الرغبات والشهوات".

✻ ويخ المعلم مجموعة من التلاميذ لتهاونهم في إنجاز واجباتهم. وإذا اغتمّوا وحننوا كثيراً، قال:

"لا يطيب لي أن أعنفكم لأنكم كلكم طيبون جداً، لكنني عندما أرى بقعاً على جدار أبيض أرغب في إزالتها".

✻ كان المعلم مسافراً مع مجموعة صغيرة من التلاميذ في سيارة لزيارة إحدى خلوات معرفة الذات (في الصحراء)، فمروا بعجوز يحمل كيساً على ظهره ويمشى ببطء وتثاقل على طريق ترابي في حرارة الشمس اللاهبة. فطلب المعلم من السائق أن يوقف السيارة، ثم نادى ذلك الشيخ وأعطاه بعض النقود. وبعد برهة من الصمت قال المعلم للتلاميذ:

"آه من العالم ومفاجآته الفظيعة! نحن راكبون والشيخ يمشي. عليكم أن تتيقظوا وتنجوا من المخاوف التي تحدثها هجمات الخداع الفجائية. فلو امتلك ذلك الرجل المسكين معرفة الله لكان

العوز والرخاء عنده سيان. في اللانهائي تتحول كل حالات الوعي إلى غبطة دائمة التجدد."

✳ سأل أحد التلاميذ:

"سيدي، أي مقطع من سيرتك الذاتية تعتبره أكثر إلهاماً من سواه بالنسبة للشخص العادي؟"
فأطرق المعلم لبرهة ثم قال:

"هذه الكلمات لمعلمي العظيم سري يوكتسوار:

"إنسَ الماضي، فالسلوك البشري متقلب لا يمكن الركون إليه أو التعويل عليه حتى يبلغ الإنسان الشاطئ الإلهي. كل شيء في المستقبل سيتحسن ما دمت تبذل مجهوداً روحياً الآن."

✳ قال المعلم:

"إن الله يتذكرنا حتى وإن لم نذكره. فلو نسي الخليفة ولو للحظة واحدة لامحى كل شيء من صفحة الوجود. من سوى الله يحفظ هذه الكرة الأرضية سابحة في الفضاء؟ ومن غيره يستحث نمو الأشجار وتفتح الأزهار؟ أجل، إنه الله الذي يحتفظ بقلوبنا نابضة بالحياة. هو الذي يهضم طعامنا ويجدد خلايا أجسامنا كل يوم. ومع ذلك فما أقل الذين يتذكرونه ويشكرونه حق شكره!!"

✳ قال برمهناجي:

"العقل كالمطاطة العجيبة التي يمكن مطها وتوسيعها إلى ما لا نهاية دون أن تنقطع!!"

✳ سأل تلميذاً: "كيف يستطيع القديس أن يأخذ على عاتقه كارما الآخرين الرديئة؟"

فأجاب المعلم:

"إن رأيت إنساناً يحاول ضرب شخص آخر فبإمكانك أن تقف أمام ذلك الشخص وتتلقى الضربة بدلا عنه. ذلك ما يفعله المعلم العظيم. فهو يدرك مسبقاً كيف ومتى سترتد إلى تلاميذه النتائج العكسية لكارماهم الرديئة السابقة. فإن وجد من الحكمة أن ينقل إلى نفسه نتائج أخطاء تلاميذه يفعل ذلك باستخدام طريقة ميتافيزيقية محددة. إن قانون السبب والنتيجة يعمل بكيفية آلية أو رياضية، واليوغيون يعرفون كيف يتحكمون بتياره ويوجهون مساره. وبما أن القديسين على معرفة بالله ودراية به كوجود أزل وقوة الحياة التي لا تنضب ولا تفتنى، فإنهم يمتلكون المقدرة على تحمّل لطمات قد تقضي على الشخص العادي. إن عقولهم لا تتأثر بالمرض الجسدي أو بالنكبات والرزايا الدنيوية."

✳ كان المعلم يبحث مع المريدين خطط توسيع عمل معرفة الذات، فقال:

"تذكروا بأن المعبد هو الخلية ولكن الله هو العسل. لا تقتنعوا بإخبار الناس عن الحقائق الروحية وحسب، بل علموهم كيف يمكنهم بلوغ الوعي الإلهي."

✳ كان برمهناجي عديم التعلق بالآخرين، ومع ذلك كان محباً وفاقاً على الدوام، وذات يوم قال: "عندما لا أرى أصدقائي لا أتحسّر لغيابهم، ولكني عندما أراهم لا يعتريني الملل من رؤيتهم أبداً."

✳ قال المعلم:

"إنني أرى الله ظاهراً بجلاء في خليقته. وإذا أنظر إلى شجرة جميلة يخفق قلبي ويهمس (إنه هنا) فأسجد بالروح إجلالاً له. أوليس الله موجوداً في كل ذرة من ذرات الأرض؟ وهل لعالمنا من وجود بمعزل عن قوة الله الماسكة؟ إن المتعبد الصادق يراه في كل الناس وفي كل الأشياء. كل صخرة تصبح بالنسبة له مذبحاً مقدساً وكل حجر هيكلًا مباركاً. عندما قال الله: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً" فقد عنى بذلك عدم تكريم المخلوقات أكثر من الخالق ذاته. يجب ألا يشغل حبنا للطبيعة، للأسرة، للأصحاب وللواجبات عرش قلبنا الأسمى، لأن ذلك محراب الله وقدس أقداسه".

✳ قال المعلم بعد أن نبه أحد التلاميذ إلى أغلاطه:
"يجب أن لا تتأثر من تقويمي لك. فلأنك تنتصر دوماً على العادات المدفوعة بالأنانية أتابع توضيح معالم طريق تهذيب النفس لك. إنني أباركك على الدوام من أجل مستقبل مشرق بالخير والأعمال الطيبة. لقد قمت بتحذيرك هذا المساء لئلا تتعود على أداء واجباتك الروحية بطريقة آلية فتغفل عن بذل مجهود أكبر للعثور على الله."

✳ زار راعي إحدى الكنائس برمهناجي ذات مساء، وقال الزائر باكتئاب وحسرة:
"إنني مشوش جداً في تفكيري الروحي"
فسأله المعلم: "إذاً لماذا تعظ الناس؟"
قال: "لأنني أحب التعليم وإلقاء المواعظ."
فقال المعلم: "ألم يقل لنا السيد المسيح عليه السلام أن الأعمى يجب أن لا يحاول قيادة العميان؟ إن شكوكك ستتبدد لو تعلمت ومارست طريقة التأمل على الله نبع الحق وعين اليقين. وبدون إلهامه فيكيف تقدر على نقل مدرجات مقدسة للآخرين؟!"

✳ كان المريدون يصغون بشوق وتلهّف في القاعة الرئيسية لصومعة إنسينيتاس حيث تحدث المعلم لساعات طويلة في الليل عن مواضيع جلييلة، وختم حديثه قائلاً:
"إنني هنا بينكم كي أخبركم عن الفرح العظيم الذي يمكن العثور عليه في الله. ذلك الفرح الذي لكل واحد منكم الحق والحرية في التنقيب عنه والعثور عليه. ذلك الفرح الذي يغمر كل لحظة من لحظات حياتي، لأن الله يسير معي ويهديني في كل صغيرة وكبيرة، فأقول له:
"إلهي، ليس لدي ما أخشاه لأنني معك على الدوام! إنني مغتبط لأن أكون خادمك الأمين والوسيلة الطيبة لمساعدة بنيك. فكل ما ترسله لي من أشخاص وأحداث هو مسؤوليتك أنت ولن أتعارض مع خطتك لي بخلق رغبات شخصية من ذاتي".

✳ كان أحد الشبان يفكر في الحصول على التدريب الروحي فقال:
"إنني أعلم يقيناً بأنني لن أعرثر على السعادة إلا في الله، ومع ذلك فإن أموراً دنيوية كثيرة لا زالت تتجادبني وتغريني".
فأجاب المعلم: "إن الطفل الذي يعجن الطين ليصنع منه فطائر (ومناقيش) يظن أن ما يفعله شيء ممتع إلى أقصى حد. لكنه يفقد تلك المتعة عندما يجتاز مرحلة الطفولة. وبالمثل، فعندما تنمو روحياً لن تفقد أو تفتقد ملذات الحياة ولن تتحسّر عليها".

✳ قال المعلم للمريدين إثر التحدّث إلى أحد طلاب العلم:
"إن العديد من ذوي المعرفة العقلانية ممن يستشهدون بأقوال الأنبياء والرسول هم كالأبواق الملعلعة يرددون ما لا يفقهون. وكألة التسجيل التي تسجّل أقوالاً مقدسة دون أن تعي معناها، هكذا يفعل الكثير من العلماء (المتبحرين) الذين لا يكفون عن ترديد ما جاء في الأسفار المقدسة دون معرفة حقيقية لمضمونها وأهميتها. وهم بذلك يهرفون بما لا يعرفون! إنهم لا يدركون القيم العميقة للنصوص الروحية التي تجدد الحياة وتسمو بالنفوس. فمثل هؤلاء لا يكتسبون من دراساتهم معرفة الله بل معرفة الكلام. ويصبحون متكبرين مولعين بالجدل والنقاش". ثم أضاف قائلاً:
"لهذا السبب أطلب منكم جميعاً التقليل من القراءة والإكثار من التأمل".

✳ قال المعلم:
"في الخليقة يبدو أن الله يهجع في المعادن، يحلم في الزهور، يستيقظ في الحيوان، وفي الإنسان يعرف بأنه متيقظ".

✳ لقد منح المعلم جُلّ وقته للمريدين وللباحثين عن الحقيقة، ثم التمس السلام المنفرد في

إحدى خلوات معرفة الذات في الصحراء. وعندما بلغ مع مجموعة صغيرة مقصدهم أوقفوا السيارة فظل برمهناجي جالساً بهدوء داخلها. وبدا أنه يغمر ذاته في سكون الليل الشامل، وأخيراً قال:

"حيثما وُجدَ نبع ماءٍ يجتمع حوله الظامنون. ولكن أحياناً – لأجل التغيير – يرغب النبع في البقاء لوحده".

✳ قال المعلم: "إن في داخل هيكلك الجسدي باباً مقدساً للإلوهية. فاعمل على تسريع تطورك بالغذاء المناسب والعيش الصحيح واحترام جسدك كهيكل لله. افتح أبوابه الفخرية السرية بالتأمل العلمي المنتظم."

✳ قال المعلم: "الإنسان العصري لا يمتلك سيطرة كبيرة على حواسه ودوافعه وعواطفه ورغباته. إنه سريع التأثر بمحيطه وبيئته. وفي سير الأحداث الطبيعي يدخل مرحلة رب الأسرة فيرزح تحت عبء الإلتزامات الدنيوية وغالباً ما ينسى أن يتذكر الله ولو بابتهاال صغير."

✳ سأل تلميذاً: "سيدي، لماذا الآلام منتشرة بهذا الشكل في العالم؟"
فأجاب المعلم:

"توجد أسباب عديدة للألم. أحداها هو للحد من فضول الإنسان في رغبته التعرف على التفاصيل الكثيرة لحياة الآخرين دون معرفة كافية لنفسه. والألم يضطر الشخص كي يفكر بدهشة وجدية قائلاً: "غريب! هل هناك قانون سبب ونتيجة يعمل في حياتي؟ وهل متاعبي ناجمة عن تفكيري الخاطيء؟"

✳ بعد أن أدرك أحد التلاميذ العبء الكبير الذي يتحمله القديس كي يساعد الآخرين، قال ذات يوم لبرمهناجي:

"سيدي، عندما يحين موعد الرحيل فإنك ستغتبط، بدون شك، لمغادرة هذه الأرض دون العودة ثانية إلى شواطئها".

فأجاب المعلم:

"ما دام يوجد مستغيثون في بحر هذا العالم المضطرب فسوف أعود بقاربي المرة تلو الأخرى لإنقاذهم وأخذهم إلى بر الأمان. أئبغني لي أن أتعم بالحرية في حين يعاني الآخرون غصّات وويلات الألم؟ وإذ أعلم أنهم فريسة الشقاء (ولولا ظهور الله لي لكنت أيضاً مثلهم) لا أستطيع أن أتمتع لوحدي بالمحاسن والنعم الإلهية التي تفوق حد الوصف".

✳ قال المعلم:

"إياكم والنظرة السلبيّة للحياة. ولماذا تمنعون النظر في المزايل والجمال من حولكم؟ قد يجد الشخص عيباً في أروع آيات وتحف الفن والموسيقى والأدب. ولكن أليس من الأفضل والأجدي التمتع بسحرها وروعها؟ إن للحياة جانباً مشرقاً وآخر مظلماً لأن عالم النسبية يقوم على النور والظل. إذا سمحتم لأفكاركم في الإغتذاء على الشرور فسوف تجلبون لأنفسكم القبح والبشاعة. ابحتوا فقط عن الخير في كل شيء لعلكم تتشربون روح الجمال".

✳ استعلم أحد المريدين: "يا معلم، إنني على دراية بالحياة الحاضرة لا غير. فلماذا لا أمتلك تذكراً للتجسّدات السابقة ومعرفة مسبقة للحياة القادمة؟"

فأجاب برمهناجي: "الحياة تشبه سلسلة عظيمة في بحر الله. ولدى سحب جزء من السلسلة خارج الماء لا ترى سوى ذلك الجزء البسيط فقط، إذ البداية والنهاية مغمورتان. في هذا التجسد ترى فقط حلقة واحدة من سلسلة الحياة. الماضي والمستقبل – بالرغم من كونهما غير منظورين – يبقيان في أعماق الله الذي يظهر أسرارهما للمريدين المتناغمين معه".

✳ لاحظ أحد التلاميذ: "لا يبدو من العدل أن يسمح الله بوجود مثل هذا الشقاء الكبير في العالم."

فأجاب المعلم: "لا توجد قسوة في التدبير الإلهي. ففي نظر الله لا يوجد خير أو شر بل هناك صور من النور والظلال لا غير. لقد أرادنا الله أن نرى مناظر الحياة الثنائية تماماً مثلما يراها هو: الشاهد والمشاهد المغبوط للمسرحية الكونية الجبارة! لقد ربط الإنسان نفسه وحقق ذاته من قبيل الوهم مع تلك (الأننا) المزيفة. وعندما يحول تحقّقه ويطماهى مع كيانه الحقيقي – الروح الخالدة – يرى عندها أن كل الآلام غير حقيقية، ولن يقدر أن يتصور حالات التألم".

ثم استطرده قائلاً: "إن أعظم المعلمين الذين يأتون إلى الأرض كي يساعدوا وينجدوا إخوتهم الضائعين يسمح لهم الله بأن يتحملوا - على مستوى معين من عقولهم - أحزان ومآسي البشر. ولكن تلك المشاركة الوجدانية في المشاعر الإنسانية لا تعكّر حالات الوعي العميقة التي من خلالها يتذوق القديسون الغبطة الدائمة."

✳ كثيرًا ما كان المعلم يقول للمريدين:
"يجب أن تهمسوا لله على الدوام دون أن يسمعكم أحد: قلبي لك.. روحي لك.. حبي لك.. إلى الأبد!"

✳ صمم أحد المريدين على ترك الصومعة، قائلاً للمعلم:
"حيثما توجهت وأينما كنت سأأمل واتبع تعاليمك على الدوام."
فأجاب المعلم:
"لا. لن تقدر على ذلك. إن مكانك هو هنا، وإن عدت إلى حياتك السابقة ستنسى هذا الطريق".
وارتحل التلميذ إلا أنه عجز عن مواصلة التأمل وانهمك في الشؤون والمشاكل الدنيوية، فحزن المعلم على (خروفه الضائع) وقال للمريدين: "إن للشرف قوته، وإن سرتم في طريقه استحوذ عليكم. فإن زلت قدمكم وكبوتكم على الطريق يجب أن تعودوا في التو واللحظة إلى دروب الحق والفضيلة."

✳ قال المعلم لمجموعة من المريدين:
"إن قال لكم إنسان (أنا الله) فستعرفون بأنه غير صادق في ما يقول. ولكن يستطيع كل واحد منا أن يقول بحق: (الله يسكن روحي). ومن أي جوهر آخر نحن مصاغون؟ إن الله هو نسيج الخليقة وهو لحمته وساداتها. قبل أن يأتي بالعوالم المظهرية إلى حيز الوجود لم يكن من شيء موجود سواه! ومن كيانه خلق كل ما هو كائن: الكون ونفوس البشر."

✳ سأل تلميذ: "سيدي، هل ينبغي لي أن أقرأ الكتب؟" فأجاب المعلم:
"إن دراسة الأسفار الروحية تغذي فيك حيناً أكبر لله فيما إذا قرأت الآيات والفقرات بتمهل وتمعن محاولاً استيعاب معناها العميق. غير أن دراسة النصوص المقدسة دون مراعاة أوامرنا ونواهيها يخلق في الشخص الزهو والرضاء الزائف، وما أسمىه بعسر الهضم العقلي. كثيرون مضطرون لدراسة الكتب العلمانية والاهتمام بالعلوم الدنيوية من أجل كسب لقمة العيش، ولكن الطامحين الروحيين أمثالك يجب أن لا يقرؤوا كتباً غير مقدّسة خلت صفحاتها من ذكر الله."

✳ سأل أحد المريدين: "هل تمر الخليقة في عملية ارتقاء؟" فأجاب المعلم:
"إن النشوء هو إحياء من الله لعقل الإنسان، وهو حقيقي فقط في عالم النسبية. لكن بالحقيقة كل شيء يحدث في الحاضر. في الروح الإلهي لا يوجد نشوء أو تطور، مثلما لا يوجد تغيير في أشعة الضوء التي بواسطتها تظهر كل الصور المتحركة على شاشة السينما. إن الله قادر على إرجاع مناظر الخليقة إلى الوراء أو تقديمها إلى الأمام، ولكن كل شيء يحدث في هذه اللحظة الأزلية الأبدية!"

✳️ استعلم أحد المريدين:

"هل العمل من أجل الله وليس من أجل الذات يعني أنه من الخطأ أن يكون الإنسان طموحاً؟"
فأجاب المعلم:

"لا. يجب أن تكون طموحاً كي تتمكن من إنجاز أعمالك إكراماً لله. فإن كانت إرادتك واهنة وطموحك هامدا تكون قد خسرت كل شيء في الحياة. ولكن لا تدع الطموح يخلق بك ارتباطات وتعلقات دنيوية أنت في غنى عنها. إن طلبت الأشياء محبة في مساعدة الآخرين توسّع بذلك حدود وعيك، ولكن أفضل من كل شيء هو أن تطلب مرضاة الله، لأن ذلك يقربك منه ويساعدك على الإحساس بحضوره."

✳️ قال أحدهم للمعلم برمهناجي:

"إنني أشعر بانجذاب نحو حياة النسك ولكنني أجد نفسي متردداً في التخلي عن حريتي."
فأجاب المعلم:

"بدون معرفة الله لا تمتلك حرية تذكر. فحياتك محكومة بالدوافع والأهواء والرغبات والبيئة والعادات والتقاليد. واتباعك لنصيحة مرشد روحي وقبولك بتدريبه وتهذيبه سوف تتحرر تدريجياً من شرنقة العبودية الحسية. الحرية معناها المقدرة على التصرف بوعي وهداية الروح وليس بدافع الشهوات والغرائز. الإستسلام للمطالب الذاتية يقود إلى القيود والامتثال لإلهامات الروح يهب التحرر الأكيد."

✳️ استعلم أحد التلاميذ قائلاً: "سيدي هل هناك من طريقة عملية غير الكريا يوغا يمكن أن تأخذ المرید إلى الله؟"

فأجاب المعلم: "نعم. هناك طريقة مضمونة وسريعة لبلوغ اللانهاي وهي حصر الإنتباه واليقظة في المركز الروحي: في الجبهة ما بين الحاجبين"
(تعليق المترجم: يجب أن يكون التركيز متواصلاً وبدون إجهاد. الشعور بخدر مغناطيسي ممتع في تلك النقطة [وسط الجبهة] جراء التركيز الهادئ المريح و برهان على نجاعة هذه الطريقة البسيطة والفعالة.)

✳️ قال تلميذٌ: "سيدي، هل من الخطأ أن يشك الإنسان؟ فأنا لا أريد أن أومن إيماناً أعمى."
فأجاب المعلم:

"هناك نوعان من الشك: واحد هدام والآخر بناء. الشك الهدام هو ارتياب اعتيادي. فالذين يغنون هذا الاتجاه دون تمعن أو تبصر لا يهتمون بالتنقيب الموضوعي عن الحقائق الروحية. أما الإلحاد فهو تشويش على راديو الإنسان العقلي مما يسبب له فقدان برنامج الحقيقة. الشك البناء هو تساؤل حصيف وتدقيق منطقي وعادل. فالذين ينمون هذه النظرة لا يحكمون على الأمور حكماً مسبقاً ولا يقبلون آراء الآخرين كقضايا مسلم بصحتها لا تقبل الجدل أو المساءلة. في الطريق الروحي يبني ذوو الشكل البناء آراءهم ويؤسسون استنتاجاتهم على

أسس من التجارب والاختبارات الذاتية. وتلك هي الطريقة الصحيحة للتوصل إلى الحقيقة."

✽ قال المعلم في إحدى محاضراته:

"لماذا يجب أن يظهر الله ذاته لكم بسرعة وسهولة، أنتم يا من تكدون وتكدحون من أجل المال ولا تبدلون المجهود الكافي من أجل بلوغ المعرفة المقدسة؟! القديسون يخبروننا بأنه إن أمضينا حتى ولو أربع وعشرين ساعة من الابتهاال المتواصل النابع من أعماق القلب لظهر الله أمامنا أو لعرفنا على ذاته بوسيلة أو بأخرى. ولو خصصنا ساعة واحدة يومياً للتأمل العميق عليه لآتى إلينا بعد بذلنا المجهود الصحيح".

✽ نصح برمهنساجي أحد المريدين من ذوي الميول العقلانية كي يحاول تنمية الحب الإلهي والشوق. وإذ وجد أن الشاب يحرز تقدماً ملموساً من هذه الناحية، قال له المعلم ذات يوم بمودة:

"واصل السير يا بني على دروب الحب الإلهي. فحياتك كانت جافة وناشفة للغاية عندما كنت تعتمد على العقل لا غير [دون القلب]"

✽ قال المعلم:

"الشهوات هي أعدى أعداء الإنسان وألد خصومه. فهي لا ترحم ولا تلين ولا يمكن إرواؤها أو إرضاؤها. ألا فلتمتلكوا رغبة واحدة وهي التعرف على الله. إن إشباع الرغبات الحسية لا يمكن أن يمنحكم القناعة والرضاء لأنكم لستم الحواس. فهي خدَمكم وليست ذاتكم العليا".

الحواس: تجهل الإشباع ما دام الغذاء ومتى استحال الزاد شبع

✽ كان برمهنساجي يجلس مع التلاميذ قرب الموقد في بهو الصومعة، وقد تحدث عن مواضيع روحية فقال:

"تصوروا شخصين إثنين، عن يمينهما وادي الحياة وعن يسارهما وادي الموت. كلاهما ذو عقل وإدراك، ولكن أحدهما يسير باتجاه اليمين والآخر باتجاه اليسار. لماذا؟ لأن الأول أحسن استخدام قوة تمييزه والآخر أساء استعمال تلك القوة بانهماكه بالتحليلات العقيمة والتعليقات الزائفة."

✽ سأل أحدهم: "يا معلم، لقد كان الدكتور فلان أول تلاميذك في هذا البلد، أليس كذلك؟"

فأجاب برمهنساجي: "هكذا يقولون."

ولما رأى أن السائل قد اعترته الدهشة، أضاف المعلم:

"إنني لا أقول قط أن الناس تلاميذي. الله هو معلم المعلمين وكلنا تلاميذه."

✽ تأسف أحد التلاميذ على ذبوع وشيوع أخبار الشر في العالم وانتشارها الكبير في وسائل

الإعلام، فقال المعلم:

"الشر ينتشر مع الريح، أما الحق فله القدرة على السير ضد الريح."

❖ كثيرون كانوا فضوليين لمعرفة عمر المعلم، فكان يضحك ويقول:

"ليس لي عمر يقاس بالسنين. إذ وُجدت قبل ذرات المادة وقبل ظهور شمس الخليقة."

وكان ينصح التلاميذ قائلًا:

"أكدوا وقولوا لأنفسكم هذه الحقيقة: أنا المحيط اللانهائي الذي يتعدد بالأمواج. أنا أزلّي أنا

خالد. أنا الروح لا الجسد."

❖ سأل برمهنساجي تلميذاً:

"ما الذي يحفظ الأرض من الإفلات من مدارها؟" فأجاب الشاب:

"إنها القوة الجاذبة نحو المركز أو جاذبية الشمس يا سيدي هي التي تحول دون فقدان الأرض

ذاتها في رحب الفضاء الخارجي."

فاستطرد المعلم: "وما الذي يحفظ الأرض من الإنجذاب الكلي نحو الشمس والاندماج بها؟"

فأجاب التلميذ:

"إنها القوة النابذة في الأرض يا سيدي التي بواسطتها تستبقي الأرض على مسافة معينة من

الشمس."

فابتسم المعلم ابتسامة ذات معنى. بعد ذلك أدرك المرید أن برمهنساجي كان يتحدث من قبيل

المجاز: فالله هو الشمس الجاذبة، والشخص المحب لذاته هو الأرض (التي تستبقي على تلك

المسافة).

❖ قال المعلم لتلميذ من ذوي الميول العقلانية:

"لا تظن أن بمقدورك إدراك الله اللانهائي عن طريق العقل وحسب." العقل لا يمكنه سوى

معرفة قانون السبب والنتيجة أو العلة والمعلول الخاضع للعوامل المظهرية، لكنه عاجز عن

استيعاب الحقيقة المجردة وطبيعة المطلق الذي لا سبب له ولا علة. إن أسمى ملكات الإنسان

هي بصيرة الروح وليس العقل. فإدراك المعرفة يحصل مباشرة وتلقانياً من الروح وليس عن

طريق العقل أو الحواس المعرضة للخطأ."

❖ سأل رجلٌ: "كيف يقدر الله المطلق والمحتجب أن يظهر للمتعبد بصورة مرئية؟"

فأجاب المعلم:

"إن شككت فلن ترى، ومتى رأيت لن تشك!"

❖ قال تلميذٌ متأسفاً:

"ولكني ما كنت أعرف يا سيدي أن كلامي سيجرح فلاناً." فأجاب المعلم:

"إذا تجاوزنا (أو خرقتنا) قانوناً ما حتى ولو عن غير قصد نكون مع ذلك قد ارتكبنا إساءة. حب

الذات مضلل ونتائجه وخيمة. الحكماء والقديسون لا يتصرفون دون حكمة أو تبصر لأنهم

هجروا الذات الصغيرة (الأنا) وعثروا على كيانهم الحقيقي في الله."

✳ قال المعلم وهو يحسم خلافاً بين تلميذين:

"ليس من عدو حقيقي للبشر سوى الجهل. فلننكاتف ولنعمل يدا بيد من أجل تفويض دعائمه وهدم حصونه، مساندين ومشجعين بعضنا البعض على طول الدرب."

✳ أبدى أحد التلاميذ اشمئزازاً وتأففاً من إنسان كانت قد تناقلت الصحف أنباء جرائمه، فقال المعلم:

"إنني أتأسف على إنسان مريض. فلماذا أمقت رجلاً وقع في حبال الشر. فعلا إنه مريض."

✳ قال المعلم:

"عندما تتصدع جدران السدّ أو الخزان تتدفق المياه في كل اتجاه. وبالمثل، عندما يتم إقصاء حواجز القلق والأوهام بواسطة التأمل يتمدد وعي الإنسان إلى اللانهاية ويذوب في الروح الكلي".

✳ سأل تلميذاً: "لماذا يمنحنا الله أقرباء إن كان لا يريدنا أن نحبهم أكثر من سواهم؟"
فأجاب المعلم:

"الله يضعنا بين الأقارب كي يمنحنا الفرصة للتحرر من الأنانية ولكي يجعل من السهل علينا التفكير في الآخرين. وفي الصداقات يفتح لنا آفاقاً جديدة لتوسيع حدود تعاطفنا. ولكن تلك ليست الغاية القصوى. إذ يجب علينا أن نستمر في تمديد آفاق محبتنا حتى تصبح مقدّسة تشمل كل الكائنات والموجودات. وإلا فكيف يتسنى لنا بلوغ الوحدة مع الله الذي كلنا عياله؟!"

✳ ألقى المعلم محاضرة عن الخليفة وأوضح الغاية التي من أجلها أوجدها الله. وبعد ذلك وجّه التلاميذ العديد من الأسئلة له فقال مبتسماً:

"الحياة رواية رائعة والمؤلف هو الله نفسه. والإنسان إذا ما حاول فهمها عن طريق العقل وحسب سيفقد عقله. لذلك أشدد على أهمية التأمل الجاد كوسيلة ناجعة لمعرفة الحقيقة. وسّعوا وعاء إدراككم العجيب بحيث تتفتح بصيرتكم وتتمكنون من استيعاب محيط الحكمة السرمدية."

✳ راح أحدهم يندب حظه لمعاكسة الظروف له ويقول: "يبدو أنني لا أنجح في أي عمل أقوم به، فلا بد أن ذلك مردّه كارماي (نتائج أعمالنا السابقة) فأجاب المعلم:

"أذاً عليك أن تبذل مجهوداً أكبر. انس الماضي وعزز ثقّتك بالله. إن مصيرنا غير مقدّر علينا من الله. وليس الكارما السبب الأوحده، مع أن حياتنا تؤثر بها أفكارنا وأفعالنا السابقة. إن كنت غير راضٍ عن مسار الحياة فينبغي تغيير الإتجاه. إنني لا أحب أن أسمع الناس يتأوهون ويعزون فشلهم الحاضر إلى أخطاء الحياة الماضية لأن ذلك نوع من الخمول الروحي. شمر عن

ساعد الجد واقتلع الأعشاب والحشائش الضارة من بستان حياتك وستغير حياتك نحو
الأفضل."

وإلى اللقاء في الجزء الثاني من (درر من مناجم الروح)
والسلام عليكم